الجامعة المستنصرية

كلية الاداب / قسم التاريخ

المرحلة الثالثة / الدراستين الصباحية والمسائية

منهج البحث التاريخي

الفصل الاول

ماهية التاريخ وتعريفه ، فائدته صفات ، المؤرخ

ما هو التأريخ؟

ما هو التأريخ ؟ وما جدوى دراسته والاهتمام به في الوقت الحاضر؟ سؤال يتردد على السنة المختصين بهذا العلم، لسبر اغواره، والتعمق في دراسته والاطلاع على فوائده ومزاياه، ولقد شملت اهتمامات الباحثين مجالات شتى، منها تحديد معنى التأريخ وتطور موضوعه، والاسلوب المقتضي لتحري الحقائق وتدوينها، والاسس العامة في التفسير والتعليل، وتعرف دراسة هذه الموضوعات جميعا بأصول التأريخ (*Historiography*) التي تشمل جميع السبل المؤدية الى معرفة التأريخ واهميته وفلسفته وتفسيره.

تستعمل كلمة (تاريخ) في بعض اللغات الحية مثل (*History*) الإنكليزية و(*Histoire*) الفرنسية و (*Geschichte*) الألمانية و (*Historia*) الإسبانية، للتعبير عن الماضي البشري تارة ، وعن الجهد المبذول لمعرفة ذلك الماضي ورواية اخباره، او العلم المعني بهذا الموضوع تارة اخرى، وقد حاول بعض الباحثين الغربيين محاولات شتى للتمييز بين هذين المعنيين، فأطلق بعض الفرنسين مثلا(*Histoire*) بـ(H كبرى) على الماضي، ومثلا (*histoire*) بـ(h صغرى) على العلم المعنى به، وحاول آخرون الرجوع الى اللغتين اللاتينية واليونانية بحثا عن جذر الكلمة للتعرف على معناها الحقيقي، وقد اشار جوزف هورس الى ان كلمة (*Histoire*) يونانية يدل جذرها على (الرؤية)، وانها كانت تعني حسبما استخدمها الفيلسوف الاغريقي أرسطوط اليس "سردا منظما لمجموعة من الظواهر الطبيعية سواء جاءت مرتبة ترتيبا" زمنيا"، ام غير مرتبة في ذلك السرد

..."، ثم تطورت كلمة التأريخ الإنكليزية (*History*) لتعني في الغالب سرد الظواهر الطبيعية، لاسيما مسائل الإنسانية المرتبة ترتيبا زمنيا، واصبحت في مفهومها العام الشائع تعني " ماضي الإنسانية ".

أما في اللغة العربية فتدل لفظة (التأريخ) على معان متعددة، وقد اختلف العلماء في أصلها ولكن الراجح انها من الاعلام بالوقت وتحديد الزمن، وقد اشارت المعاجم العربية الى هذا المعنى فذكرت بان " التأريخ " هو تعريف الوقت و" التوريخ " مثله يقال أرخ الكتاب ليوم كذا ووقته وقد حاول بعض القدماء ان يرجع اشتقاق هذه الكلمة الى اللغة الفارسية، فزعم انها مأخوذة من " ماه رزو" والتي يراد بها تعيين بدء الشهر فعربوها وقالوا "مؤرخ". وجعلوا المصدر منها التأريخ، وهذا اشتقاق بعيد لا يظهر فيه أي تقارب بين اللفظين العربي والفارسي.

وقد اشار بعضهم ايضا الى احتمال صلة هذه الكلمات باللغات العربية القديمة (السامية) حيث تلوح القرابة بينها وبين كلمة "ياريح " التي معناها القمر و"يرح" التي معناها الشهر في العبرية، ولكن الارجح ان جذرها "ورخ" هو جذر عربي قديم ايضاً، لكنه مأخوذ من لغة اليمن الجنوبية وليس من العبرية، ويذكر شاكر مصطفى اعتماداً على مرغليوث ان احدى صيغتي الكلمة "ورخ" موجودة في لغات عربية قديمة هي الفينقية، والأكدية، والعبرية، والسريانية، والعربية الجنوبية التي تعني" الشهر" او "القمر".

والملاحظ ان العرب القدماء كانوا يحددون شهورهم بالقمر لا بالشمس، وانهم كانوا يبنون تأريخهم على الليالي دون الايام كما هو متبع في التقويم الهجري، لهذا فان معنى كلمة "تأريخ" كان في مبدأ امرها هو "تحديد الشهر" ثم أتسع فصار التوقيت العام، أي تحديد زمن حدث من الحوادث ثم تطور مفهوم هذه الكلمة حتى شمل رواية الحدث نفسه من جهة، وتحديده من جهة اخرى، ولكن هذه الكلمة بمعناها الاصطلاحي المعروف لم يظهر في القرآن الكريم ولا في الاحاديث النبوية الشريفة ، علماً انه كانت تستخدم بمعنى التقويم في النقوش العربية الجنوبية ثم استعمله الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حين أدخل التقويم الهجري فقد ورد هذا الاصطلاح في أحدى اوراق البردي التي يرجع تأريخها الى سنة (٢٢هـ/٦٤٢م) مما يدل على ان الكلمة كانت معروفة في ذلك الحين.

يمكن القول اذا ان هذه الكلمة قد مرت بعدة اطوار، فبدأت مسيرتها أولا بمعنى التقويم والتوقيت في صدر الاسلام الاول ، وبعد ان استعملت لفترة من الوقت بهذا المعنى، كسبت معنى اخر هو تسجيل الاحداث على اساس الزمن، وكان يستخدم بدلا" منها في هذه العملية التاريخية كلمة الخبر واخبار واخباري، ثم بدأت كلمة "تاريخ" تحل بالتدريج محل كلمة "خبر" وأخذت تطلق على

عملية التدوين التاريخي وعلى حفظ الاخبار بشكل مسلسل، وكان ذلك اواسط القرن الثاني للهجرة ، ومع بداية القرن الثالث الهجري صارت كلمة "تاريخ" تطلق على العلم بأحداث التاريخ وأخباره وبأخبار الرجال والكتب التي تبحث في ذلك،وقد حلت هذه الكلمة محل كلمتي " الخبر" و"الاخباري" التي انتهت استعمالاتهما العلمية وبطل استخدامهما في القرن الرابع الهجري.

تعريف التاريخ:

وإذا ماعدنا الى نطاق التاريخ والاتجاهات الرئيسة فيه، واجهتنا جملة تعريفات ومفاهيم للتاريخ، ولنبدأ بالمؤرخ اليوناني الشهير هيرودوتس (*Herodotus*) الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد ، فالتاريخ في رأيه يشتمل على التحري والبحث والتحقيق في احداث الماضي وتسجيلها، ولا يتم هذا التحري في نظر هيرودوتس الا اذا قام به المؤرخ نفسه، وسافر الى الاماكن التي يروم دراستها من الناحية التاريخية، ويقرب هذا المفهوم للتاريخ من التعريف الذي ذكره عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) في مقدمته الشهيرة فهوه يبدأ حديثه عن التاريخ بالقول " اما بعد فأن التاريخ فن من الفنون التي تتداوله الامم والاجيال وتشد اليه الركائب والرحال وتسمو الى معرفته السوقة والاغفال وتتنافس فيه الملوك والاقيال وتتساوى في فهمه العلماء والجهال، اذ هو في ظاهره لا يزيد على اخبار عن الايام والدول والسوابق من القرون الاول ..... وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك اصيل في الحكمة عريق وجدير بان يعد في علومها وخليق... "

ويقول محي الدين محمد بن سليمان الكافيجي (ت ٨٧٩ هـ/١٤٧٤) في تعريفه للتاريخ "واما علم التاريخ فهو علم يبحث فيه عن الزمان واحواله وعن احوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته"، أما محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ/٤٩٧م) فيقول عن التاريخ: "وأما موضوعه فالأنسان والزمان ومسائله احوالهما المفصلة للجزيئات تحت دائرة الاحوال العارضة الموجودة للإنسان وفي الزمان" ، ويعرفه أحد مؤرخي القرن التاسع عشر الميلادي الانكليز وهو تشارلز فيرث بقوله:" التاريخ شيء لا يسهل تعريفه ولكن يبدو لي انه سجل لحياة المجتمعات الإنسانية وللتغيرات التي اجتازتها تلك المجتمعات وللأفكار التي تحكمت في توجيه نشاط تلك المجتمعات المادية التي ساعدت على تطورها "

وهكذا ترى ان الاتجاهات تتباين في تعريف التاريخ "فهناك من يراه البحث عن الحقائق الثابتة وتدوينها، وهي نظرة تغلب في القرن التاسع عشر وهناك من يعتبره تفسير الحقائق وربطها، فالمؤرخ يختار الحقائق او بالأحرى يبحث عن حقائق معينة ويجمعها وهذه هي مادته الأولية ثم

يكسبها مفهومها التاريخي، وفي الحالتين يكون المؤرخ محور الموضوع.. "، ويؤكد عبد العزيز الدوري هذه الصلة بين المؤرخ وحقائق التاريخ، فيشير الى انها وشيجة جدا فالمؤرخ دون حقائق لا جذور له، والحقائق دون مؤرخ مجردة من الحياة والمعنى، فالتاريخ عملية مستمرة للتفاعل بين المؤرخ وحقائقه او هي "حوار متصل بين الماضي والحاضر".

غير ان المعنى اتسع تدريجيا" ولم يعد مفهومه يقترن بالماضي وحده، " لان التاريخ" كما يقول حسين مؤنس أصبح يمثل "حركة الكون وحركة الارض وحركة الاحياء والناس على سطح الارض وما تستتبعه هذه الحركة الدائمة من تغيير دائم، وحيث أن الحركة تغير مستمر منذ ان بدأ الله سبحانه وتعالى الخلق الى ان يطوى الارض وما عليها، فان التاريخ ايضا متصل منذ الازل الى الابد، وهو يشمل الماضي والحاضر والمستقبل جميعا، فكله تاريخ وكله ميدان عمل المؤرخ، وهو نهر الحياة المتدفق الجاري المتجدد دائما بما يأتي منابعه وما تأتي بعده روافده ".

وينسجم هذا المفهوم الواسع لنطاق التاريخ مع ما أشار اليه أحد الباحثين العراقيين (صالح العلي) من حيث اتساع معناه، وبلوغه خلال القرن العشرين أقصى مداه، فأصبح يشمل جميع شؤون البشر الماضية متداخلة او على انفراد، بما فيها الشؤون الدينية والعلمية والعمرانية والسياسية والحربية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والعلاقات الدولية، وكذلك أثر البيئة في حياة الانسان، فالتاريخ على هذا الاساس هو: "كل ما طرأ على البشرية بفعل البيئة، وما نجم عن جهود الانسان، أما علم التاريخ فهو تدوين ذلك على الوجه الصحيح ومحاولة اظهار معناه "، وقد اختصر قسطنطين زريق تعريف التاريخ بخمس كلمات فعرفه بأنه:" السعي لادراك الماضي البشري وأحيائه "، وقد أقترح للتفريق بين الماضي البشري ذاته ودراسة هذا الماضي أن نطلق على الاولى منهما كلمة "التاريخ" ، وعلى الثانية كلمة "التأريخ" (بالهمز).